

عنوان البرنامج: معرفة الصحابة والتابعين
الوحدة الثانية: عدالة الصحابة
الدرس الثاني: أقوال أهل العلم في العدالة
اسم المحاضر: الدكتور بدر العمراني

أقوال أهل العلم في العدالة

لَمَّا اتَّضَحَ لَنَا فِي الدَّرْسِ السَّابِقِ بَأَنَّ العَدَالَةَ تَعْنِي: الاستقامة، والعدل هو من لم يُوسم بجرح، وحظي بالتزكية والقبول بين الناس وارتضوا شهادته..

هذا على سبيل العموم فيمن اتصف بهذه الحلية من الناس، أمَّا بالنسبة لصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي ملازمة لهم. وهذا ما صرح به العلماء الأعلام من أهل السنّة والجماعة، من ذلك:

الخطيب البغدادي، قال: (بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْدِيلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِلصَّحَابَةِ، وَأَنَّهُ لَا يُجْتَنَبُ لِلسُّؤَالِ عَنْهُمْ، وَإِنَّمَا يَجِبُ ذَلِكَ فِيْمَنْ دُونَهُمْ كُلُّ حَدِيثٍ اتَّصَلَ إِسْنَادُهُ بَيْنَ مَنْ رَوَاهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَلْزِمِ الْعَمَلُ بِهِ إِلَّا بَعْدَ ثُبُوتِ عَدَالَةِ رِجَالِهِ، وَيَجِبُ النَّظَرُ فِي أَحْوَالِهِمْ، سِوَى الصَّحَابِيِّ الَّذِي رَفَعَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّ عَدَالََةَ الصَّحَابَةِ ثَابِتَةٌ مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ لَهُمْ وَإِخْبَارِهِ عَنْ طَهَارَتِهِمْ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ فِي نَصِّ الْقُرْآنِ .. وَجَمِيعُ ذَلِكَ يَقْتَضِي طَهَارَةَ الصَّحَابَةِ، وَالْقَطْعَ عَلَى تَعْدِيلِهِمْ وَنَزَاهَتِهِمْ، فَلَا يُجْتَنَبُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَعَ تَعْدِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمُ الْمُطَّلَعِ عَلَى بَوَاطِنِهِمْ إِلَى تَعْدِيلِ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ لَهُمْ، فَهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ عَلَى أَحَدِهِمْ ارْتِكَابُ مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا قَصْدَ الْمَعْصِيَةِ، وَالخُرُوجَ مِنْ بَابِ التَّأْوِيلِ، فَيُحْكَمُ بِسُقُوطِ عَدَالَتِهِ، وَقَدْ بَرَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ، وَرَفَعَ أَقْدَارَهُمْ عَنْهُ، عَلَى أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرِدْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ فِيهِمْ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ لَأَوْجَبَتْ الْحَالُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، مِنَ الْهَجْرَةِ، وَالْجِهَادِ، وَالنُّصْرَةِ، وَبَدْلِ الْمَهْجِ وَالْأَمْوَالِ، وَقَتْلِ الْآبَاءِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْمُنَاصَحَةِ فِي الدِّينِ، وَقُوَّةِ

الإيمان واليقين - القُطْعَ عَلَى عَدَالَتِهِمْ وَالِاعْتِقَادَ بِنَزَاهَتِهِمْ، وَأَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُعَدِّلِينَ وَالْمُرَكِّبِينَ الَّذِينَ يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ أَبَدَ الْأَبْدِينَ. هَذَا مَذْهَبُ كَافَّةِ الْعُلَمَاءِ وَمَنْ يُعْتَدُّ بِقَوْلِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ إِلَى أَنَّ حَالَ الصَّحَابَةِ كَانَتْ مَرْضِيَّةً إِلَى وَقْتِ الْحُرُوبِ الَّتِي ظَهَرَتْ بَيْنَهُمْ، وَسَفِكَ بَعْضُهُمْ دِمَاءَ بَعْضٍ، فَصَارَ أَهْلُ تِلْكَ الْحُرُوبِ سَاقِطِي الْعَدَالَةِ، وَلَمَّا اخْتَلَطُوا بِأَهْلِ النَّزَاهَةِ وَجَبَ الْبَحْثُ عَنْ أُمُورِ الرِّوَاةِ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ فِي أَهْلِ الدِّينِ وَالْمُتَحَقِّقِينَ بِالْعِلْمِ مَنْ يُصْرَفُ إِلَيْهِمْ جُزْمًا لَا يَحْتَمِلُ نَوْعًا مِنَ التَّأْوِيلِ وَضَرْبًا مِنَ الْاجْتِهَادِ، فَهُمْ بِمَثَابَةِ الْمُخَالِفِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُجْتَهِدِينَ فِي تَأْوِيلِ الْأَحْكَامِ، لِإَشْكَالِ الْأَمْرِ وَالتَّبَاسِهِ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَدَّمَاهُ مِنْ حَالِ الْعَدَالَةِ وَالرِّضَا، إِذْ لَمْ يَثْبُتْ مَا يُزِيلُ ذَلِكَ عَنْهُمْ .. ثم روى بسنده عن أبي زُرْعَةَ، يَقُولُ: «إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا آدَى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُطْلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرِّحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ» (الكفاية في علم الرواية 46-49).

قال أبو عمرو ابن الصلاح: (إِنَّ الْأُمَّةَ مُجْمَعَةٌ عَلَى تَعْدِيلِ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ، وَمَنْ لَابَسَ الْفِتَنِ مِنْهُمْ فَكَذَلِكَ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ يُعْتَدُّ بِهِمْ فِي الْإِجْمَاعِ، إِحْسَانًا لِلظَّنِّ بِهِمْ، وَنَظْرًا إِلَى مَا تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَآثِرِ، وَكَأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَتَّاحَ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ لِكَوْنِهِمْ نَقْلَةَ الشَّرِيعَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ). (معرفة أنواع علوم الحديث=مقدمة ابن الصلاح. ص295. دار الفكر-سوريا. سنة 1986).

الحافظ ابن حجر العسقلاني: (اتَّفَقَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ الْجَمِيعَ عُدُولٌ، وَلَمْ يُخَالَفْ فِي ذَلِكَ إِلَّا شَذُودٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ). (الإصابة في تمييز الصحابة 23/1).

ويقصد بشذوذ من المبتدعة، مثل:

- المعتزلة؛ القائلون بأن الصحابة عدول إلا من قاتل علياً.

- والروافض؛ الذين كفروا عموم الصحابة سوى سبعة عشر صحابياً ممن والى سيدنا علياً رضي

الله عنه.

وهؤلاء جانبوا الصواب، وأعرضوا عن الحق:

فبالنسبة للقول الأول: (قول باطل مردول، ومردود بما ثبت في صحيح البخاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال - عن ابن بنته الحسن بن علي، وكان معه على المنبر: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»). وظهر مصداق ذلك في نزول الحسن لمعاوية عن الأمر، بعد موت أبيه علي، واجتمعت الكلمة على معاوية، وُسِّمِي «عام الجماعة». وذلك سنة أربعين من الهجرة: فسَمِي الجميع «مسلمين». وقال تعالى: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما)، فسَمَاهم «مؤمنين» مع الاقتتال). (الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير - للشيخ أحمد شاكر 499/1. مكتبة المعارف-الرياض. ط 1/1996).

وأما الثاني، فغير مقبول ولا معقول، لمصادمته الدليل والبرهان، علاوة على التاريخ الذي جَلِي سِيرُهُمُ النَّبِيَّةُ «بما عُلِمَ من امتهالهم أوامر النَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام، وفتحهم الأقاليم والآفاق، وتبليغهم عنه الكتاب والسنة، وهدايتهم الناس إلى طريق الجنة، ومواظبتهم على الصلوات والزكوات وأنواع القربات، في سائر الأحيان والأوقات، مع الشجاعة والبراعة، والكرم والإيثار، والأخلاق الجميلة التي لم تكن في أمة من الأمم المتقدمة، ولا يكون أحد بعدهم مثلهم في ذلك، فرضي الله عنهم أجمعين». (يُنظر: الباعث الحثيث 500/1-501).

وأما ما شجر بين الأصحاب رضي الله عنهم بعده عليه الصلاة والسلام، فمنه ما وقع عن غير قصد، كيوم الجمل، ومنه ما كان عن اجتهاد، كيوم صفين. والاجتهاد يخطئ ويصيب، ولكن صاحبه معذور وإن أخطأ، ومأجور أيضاً، وأما المصيب فله أجران اثنان، وكان علي وأصحابه أقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه، رضي الله عنهم أجمعين. (الباعث الحثيث 499/1).

والله الموفق للخير والهادي.

والحمد لله رب العالمين.